Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمرحلة الشباب (في الطفولة) تفيد، نصيا، في إبراز أمرين متلازمين : أولهما أن الشخصية استقامت في زمنها التطوري، من حيث وعيها بذاتها كهوية مختلفة، وثانيهما أنها أصبحت الشخصية المؤشر لتطورها المستقبلي. يمكن أن نلاحظ هنا، مثلا، أن الإنكباب على دراسة الأدب بعشق وتوله، والتأثير الذي مارسته الفكرة الوطنية بخطابها وحضورها، كانا في أساس التوجه الذي تأطرت به الشخصية فيما بعد. يقول عبد المجيد بنجلون : «ولعل المستقبل أن يكون قد تحدد على نحو آخر متباين أشد التباين مع المستقبل الذي حصل بالفعل، لو لم يسارع ذلك الشاب [يقصد علال الفاسي] إلى إلقاء دروسه في القرويين، ولو لم يمت الشاعر العظيم [أحمد شوقي] في ذلك الوقت بالذات، ولو لم يعثر الغلام بائع الكتب في رفوفه على كتاب المختار من شعر شوقي... مصادفات عارضة وأحداث صغيرة نتعرض لها مئات المرات دون أن نعيرها حتى الانتباه، ولكنها تبلغ في تفاهتها، في بعض الأحيان، مبلغا من القوة يحدد أمامنا المستقبل تحديدا قد يكون فاصلا.» (ص 255 وما بعدها).

نستخلص من هذا، أن بين الطفولة اللاواعية وبين مرحلة التكون الوجودي نوعا من الاتصال الحياتي، لأنهما يجريان في دائرة الحياة المروية، بضمير الأنا المتكلم الذي يواكب جميع التحولات التي تطرأ عليهما، من خلال استدعاء جميع الذكريات الماضية، المفكر فيها أو العالقة بالذهن، فيما تبدو استعادتهما متلونه بالشعور الذي يصاحب عملية الاستذكار (اللذة النفسية). ذلك أن لحظات الوعي المعاشة، كما يقول گوسدورف، لا تتفاعل مع بعضها حسب نظام خارجيتها (كما عيشت) المتبادل، بل هي داخلية واحدة إلى جانب الأخرى تتعايش مع بعضها حسب أسلوب الحضور والغياب(1). ولكن المهم في تحليلنا أن عملية استدعاء الذكريات لا تتم على مستوى واحد من التذكر، وهي عملية متفاعلة تنصهر فيها ثلاثة عوامل على الأقل: المسافة من حيث القرب أو البعد، وهناك أمثلة واضحة على ذلك، كالتساؤل حول تاريخ الميلاد، والأحداث المرتبطة بالطفولة الأولى، وقد نجد أمثلة أخرى تتصل بالمراحل المتأخرة، ومنها حالة الاشتباه التي تحاصر عبد المجيد بن جلون عندما يقول : «فهل أنا الذي يكتب هذه السطور في المرحلة الرابعة هو حقا ذلك الطفل الذي ترك عند السفح تلك الآثار؟». والحافز، بوصفه الباعث على تحديد الذكريات في الزمن واسترجاعها في زمن آخر، سواء أكان هذا الباعث نفسيا أم اجتماعيا أم ثقافيا، يستوى في ذلك أن يكون مباشر أو غير مباشر أيضا. فما قصد عبد المجيد بن جلون من استرجاع الذكريات، كما

(1) - Auto-bio-graphie, op. cit. p. 268.